

العدوان على العراق :بين سيناريو افغانستان 00 وسيناريو غزه

بسم الله الرحمن الرحيم
مركز الدراسات والبحوث الإسلامية:

فى بعض مراحل الصراع الدولى وتطوراته ، لا يجرى الربط بدقه بين المستجدات السياسية التى ترقى الى مرحلة التغير الاستراتيجى -خاصة اذا كانت فى مراحل بداية التحول بهذا الاتجاه -وبين التغير فى اساليب الصراع وقدرات الاطراف المختلفه على الفعل .وهو امر يحدث عادة فى فترات التحول التى تاتى التغييرات خلالها دون معارك عسكرية واتفاقات بالاقرار بالهزيمة .وفى مسالة العدوان على العراق تجربه متكاملة فى هذه القضية .فاذا كان الكثيرون باتوا يدركون رويدا رويدا حجم التغير الحادث فى العالم قبل الضربة التى وجهت للولايات المتحدة وتسارعت خطواته بعدها..والذى جاء نتيجة للتوحد الاوروبى وميل الصين بدرجة اوضح الى درجه من المواجهة مع السياسة الامريكية التى فضت تحالفها السابق مع الصين لزوال اسبابه الرئيسية (واهمها سقوط الاتحاد السوفييتى) ونتيجة للتعافى الروسى النسبى من حالة فقد الاتجاه والاتزان ، فانهم لم يدركوا بعد نتيجة هذا التحول وتأثيراته على قدرة التحرك الامريكى فى العالم وفقا للاستراتيجية التى اعتمدتها فى عدوانها على العراق فى مطلع التسعينات (تحالف دولى تسوقه وتتنافس الدول على اللحاق به حبا او كرها)..وحتى وفقا لصيغة العدوان على افغانستان (رضا دولى وحلف امريكى بريطانى مدعوم سياسيا من قبل الغرب عامة) ...ولا حتى على العدوان بشكل منفرد دون خسائر ضخمة على المستوى الدولى والداخلى الاقتصادى والسياسى والمجتمعى !

هذا على الرغم من مما يشاهدونه من الحالة التى باتت عليها الولايات المتحدة بشأن قرارها بالعدوان على العراق.

وفى النظر فى قضية التأثيرات على القدرات الامريكية فى التحرك(التحالفى الموسع"نموذج عدوان 91 -او التحالفى الضيق "نموذج عدوان افغانستان"-او التحرك المنفرد) فى العالم وكيف أثرت التغييرات الاستراتيجية على تغيير اساليب الصراع ، يحسن ان نشير الى التغير الحادث فى قدرات واساليب التحالف الانجلوساكسونى الصهيونى كما اظهرت تجربة العدوان الماضى والحالية على العراق.

فقد فشلت الولايات المتحدة فى فرض مخططها الذى سمي بالعقوبات الذكية من خلال الامم المتحدة ..وكان هذا تغيرا عن الحالة السابقة فيما يتعلق بقدرة الحلف الامريكى فى اسلوب سيطرة الولايات المتحدة على الامم المتحدة ... فقررت العمل من خارج الامم المتحدة بشن عدوان منفرد للتحالف الذى تقوده ففشلت وكان هذا هو الاخر فشلا فى القدرة على العمل المنفرد من خارج الامم المتحدة وتغيرا فى اساليب الصراع الدولى وخططه ..فعادت الى الامم المتحدة مع تهديد بالعمل من داخلها والضغط من خارجها فتأكد المعطيان والتغيران..بينما الحصار على العراق يتاكل.وفى المقابل فان الحصار يتاكل وبشده .فى الحالة الاخيرة التى نعيشها الان فقد حاصرت الضغوط الخارجية والداخلية اطراف التحالف الامريكى البريطانى الصهيونى واحاطت به من كل جانب والاهم فيما هو حادث ليس الوضع الراهن وانما القراءة للوضع المستقبلى القريب .الضغوط الخارجية جاءت بسبب انتهاء ماثوونتشكيل وعلان الاتحاد الاوربي

وتصاعد قدرته فى الدفاع عن مصالحه المباشرة وزيادة طموحه الدولى وجاءت من النظام الرسمى العربى بسبب خشية الحكام على كراسيهم واستقرار نظم حكمهم ومن روسيا التى يعتبر العراق اخر مركز عربى لها واخر احتمالات انقاذ اقتصادها... الخ. والضغوط الداخلية الناتجة عن رفض او قلق الراى العام الذى ايقن ان لا احد سيدفع فاتورة الحرب سواء والنخب التى تخشى عزلة امريكا وتحولها الى دولة طريدة فى الوضع الدولى .. فاضطر بوش وبلير الى التراجع واللجوء للامم المتحدة لتدخل القضية لعبة شد الحبل .

هذا التغير الذى اظهرت الاحداث وقوعه لا يعنى تخلى امريكا وحلفها البريطانى الصهيونى بطبيعة الحال عن عدوانها تجاه المسلمين فى العالم بل يعنى بالدقه ان هذا الحلف اصبح اكثر دموية لكنه يعنى بالدقه انه سيسعى لتمرير خطته بطريقه عدوانية لكنها مختلفة فى السيناريوهات وان الاوضاع الاستراتيجية لهذا الحلف لم تعد كما كانت لا فى القدرة على تحريك الوضع الدولى او فى السيطرة على الامم المتحدة او حتى فى التحرك العدوانى المنفرد.

سيناريو غزه

حاول الكيان الصهيونى اجتياح غزه بعد انتهاءه من اجتياح الضفة ، لكنه فوجئ بمعارضه داخل الجيش الصهيونى بسبب تقارير مقلقه حول حاله المعنوية للجنود بعد تجربة جنين وبسبب ضغط من الراى العام الصهيونى الخائف والمذعور وبسبب ضغوط من المحيط العربى (خاصة مصر) فكان القرار هو التراجع عن الاجتياح الشامل واستبداله بالقصف المتكرر والضربات الجزئية لاهداف مختاره وعمليات الاغتيال وذلك بهدف انهاك المجاهدين وتفكيك ترابطهم التنظيمى وازعاج التماسك بين المجتمع والمقاومة.. ولاضعاف ردود الفعل العربية الشعبية بتعويدها على الضربات للوصول بها الى المرحلة التى لا تتاثر فيها بالاجتياح الاكبر الا بدرجه اقل. نفس السيناريو هو ما تتوقع حدوثه بالنسبة للحالة فى العراق او هو بدا يحدث بالفعل.. حيث تتكثف عمليات القصف الجوى وتتوسع وينتظر ان تتوسع وتتكثف بهدف الازعاج التدريجى للقوة العراقية وكذلك تعويد الراى العام العربى على عمليات القصف والقتل ليفقد مناعته حتى لا يحدث رد فعل قوى حال الضربة الاكبر وكذلك لتقليل فزع الحكام من نتائج الضربة الكبرى على كراسيهم من خلال اضعاف رد الفعل الشعبى

المعارض لصمتهم !

اننا لا نستبعد فى الاسابيع المقبلة ان تبدا الولايات المتحدة عدوانها على العراق بمحاكاة نموذج العدوان على افغانستان اى الحلف الضيق والقصف المركز الذى يستعجل النتائج على الارض ولا نستبعد حتى العمل الانفرادى وفقا للخطة التى فشلت وتقرر بعدها العودة الى مجلس الامن .. لكن ما نرجح حدوثه خلال المرحلة الراهنة هو تنفيذ سيناريو غزه .. فهذا السيناريو يخرج الولايات المتحدة وحلفها من مازقها .. لا يحتاج الى قرارات من مجلس الامن .. ولا يحتاج الى قرار من الوزن الثقيل داخليا لا سياسيا ولا ماليا . لكن يجب ادراك ان المعنى الوحيد لذلك ايضا هو ان كل ما سيجرى ليس الا التمهيد للعدوان الكاسح .. الوحشى الكبير.

ولذلك فان الخطر الراهن هو انشغال الراى العام والقوى السياسية والاقليمية والدولية بالنظر فى الوجهة الخطأ.. اى العمل على منع العدوان الكبير دون ادراك ان هذا التوجه لا يفعل سوى السماح للحلف الامريكى الصهيونى بتغيير خطة العمل فقط 0